الفصل الأول - الباب الأول

اشهر... نابلس التي رحبت بها، أما في لواء القدس فاختلفت ردات فعل العلماء إلى أن دخلت فرقة عسكرية مصرية القدس في كانون أول ١٨٣١م وأعلن المصريون إلغاء كل الضرائب والعوائد التي كانت مفروضة على الطوائف المسيحية واليهودية وعلى أماكنهم المقدسة... وأشار الراهب القبرصي الذي دون أخبار فلسطين في تلك الفترة، إلى أن أهالي القدس خرجوا للشوارع ورقصوا فرحا مدة خمسة أيام متتالية عندما وصلت أخبار سقوط عكا^(٨٥).

لقد رحبت الجماهير المشرقية بحملة إبراهيم بن محمد علي ونظرت له كمحرر، وبأشرت إدارته عام ١٨٣١م بتجفيف المستنقعات وتشجيع الزراعة، وتأسيس نظام تعليمي عصري قلص من دور المشايخ مثلما اتسم حكمه بالتسامح الديني.

وذهب لأبعاد أخرى فقتال القوات المصرية للجيش العثماني والانتصار عليه عمق المشاعر القومية العربية سيما أن إبراهيم انتمى للعربية لغة وسياسة... وتشير مراسلات الأب والابن إلى سعيهما لمدمشروعهما لأرجاء المنطقة العربية وفصل الوطن العربي عن تركيا، الأمر الذي استخطرتة وناهضته بريطانيا (ليس من مصلحة بريطانيا بروز ملك عربي يوحد العرب ويفتت تركيا بما يهدد الطريق إلى الهند) كتب بالمرستون وزير خارجية بريطانيا.

نظرت القوى الاستعمارية الأخرى بعدائية لمشروع محمد علي وعقدت بريطانيا، فرنسا، روسيا القيصرية والنمسا، مؤتمراً في لندن ١٨٤٠م لتنسيق جهودها وهاجمت القوات البريطانية - العثمانية وبعض الأوساط التقليدية المحلية، فتقهقر مشروع محمد علي وانكفأت قواته في مصر والسودان وعادت فلسطين وسواها للسيطرة العثمانية.

حري الإشارة إلى أن أعيان فلسطين ووجهاءها كما بلاد الشام عموماً قد استقبلوا القوات المصرية بالفرح والتفاؤل لتخليصهم من العثمانيين وامكانية تطوير الزراعة على غرار ما حصل في مصر، سيما أن إبراهيم باشا حاول خلال تلك المدة معاملة الناس بالحسنى لكسب ودهم وتعاونهم. والأكاديمي مناع يشير إلى أن إدارة إبراهيم باشا قد ألغت الضرائب عن المسيحيين واليهود بما أزعج الزعامات الدينية المرتبطة بالآستانة.

(و)ضمن الاصلاحات الإدارية التي ادخلها إبراهيم باشا في فلسطين انشاء مجالس الشورى في كل مدينة تعداد سكانها ألفا نسمة، أما عدد أعضاء المجلس الواحد فيتراوح بين ١٢ و ٢١ عضواً

(٨٥) د. مناع، عادل. المرجع السابق. ص ١٣١، ١٣٤، ١٣٥.